القضية الفلسطينية والموقف الإسلامي

المناسبة: خطبتا صلاة الجمعة العبادية ــ السياسية في يوم القدس العالمي

الزمان والمكان: 22رمضان1420هـ ــ ق طهران

الحضور: جموع المصلّين المؤمنين

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونتوكّل عليه ونستغفره ونؤمن به، ونصلّي ونسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه سيّدنا ونبيّنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين سيّما بقية الله في الأرضين.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله.

أوصي جميع الإخوة والأخوات المصلّين بالتقوى واجتناب الانزلاق في مصائد هوى النفس والوقوع في مخالب الشيطان.

عسى أن يكون اجتماعنا اليوم، وهذه الصلاة وما يقال ويُسمع مدعاة لبلوغ هذا الهدف السامي.

اليوم هو اليوم الثاني لشهادة أمير المؤمنين وإمام المتقين (عليه الصلاة والسلام)، وهو يوم عظيم على المسلمين جميعاً، بل وعلى جميع الأحرار في العالم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو يوم القدس التي هي قضية المسلمين الأولى اليوم.

وسأتحدّث في الخطبة الأولى حول أمير المؤمنين بإيجاز، وفي الخطبة الثانية عن قضية فلسطين والأوضاع الحالية التي يعيشها المسلمون وواجبنا الإسلامي والإنساني.

أمير المؤمنين (ع) الشخصية التاريخية المحبوبة

أمير المؤمنين (ع) من الوجوه الجذّابة في التاريخ, وقلّما يجد المرء شخصية تاريخية عشقتها البشرية وليس المسلمون وحدهم؛ كشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فهناك الكثير من غير المسلمين الذين لا يقرّون الدين الإسلامي ولا نبوّة الرسول الكريم (ص)، يحبّون علياً (ع) ويحترمونه ويثنون عليه، ناهيك عن أنّ المسلمين وخاصّة الشيعة يكرّمونه ويعظّمونه في قلوبهم وأنفسهم وعقولهم.

يوجد بيننا نحن الشيعة وعامة المسلمين أشخاص لا يعملون بأحكام الإسلام إلاّ أنهم ينظرون إلى أمير المؤمنين (ع) بعين الإكرام والإجلال؛ وسبب ذلك يعود ــ طبعاً ــ إلى الخصائص والصفات الإنسانية العليا الكثيرة التي كانت فيه.

فكل من سمع عن علي (ع) شيئاً فهو ينظر إلى تلك الخصائص بكل إكبار، باستثناء طائفة واحدة تعرف عليّاً ولكنها تناصبه العداء، وتلك هي الطائفة التي تناهض المبادئ التي جاهد من أجلها هذا الإنسان العظيم وأنفق عمره من أجلها؛ فهي بطبيعة الحال تعادي جنديّها الأول، أو أولئك الذين نالهم في تلك الأدوار الأولى سيفه البتّار وصلابته التي تأبى التساوم مع كل ما هو سيّئ وقبيح، وإلاّ فإن المنصفين والمجبولين على فطرتهم الإنسانية مغرمون بهذه الشخصية العظيمة.

وهذا ينطبق ــ طبعاً ــ على من سمعوا شيئاً عنه، أما الذين لم يسمعوا عنه شيئاً فهم مستثنون من هذه القاعدة.

علينا الاقتداء عملياً بأمير المؤمنين (ع)

تجدر الإشارة هنا إلى نقطة أخرى وهي: إننا حينما ننظر من بعيد إلى الشخصيات بما اجتمع فيها من خصائص إيجابية، فإننا غالباً ما نثني عليها, ولكننا عند الاقتراب منها، وعند معايشة قضايا التطبيق العملي والانقياد والولاء، نقع في المحذور.

وهذا واحد من عيوب أبناء البشر، ولو أنّ أهل الدنيا مالوا إلى مناصرة المظلوم الذي تجسّد في شخصه، وهبّوا لمناصرة الحقيقة التي تمثّلت فيه، ونهضوا لمقارعة الظلم كنهضته، واقتربوا عملياً ولو خطوة واحدة نحو تلك الخصائص، على قدر تعاطفهم مع عدل وإنصاف وشجاعة أمير المؤمنين (ع)، لأصبحت الدنيا روضة.

لكننا نحن بني الإنسان ــ من أمثالي ــ الذين نثني على أمير المؤمنين إلى هذا الحد، ليس من المؤكّد أننا نثني في حياتنا اليومية وفي أحكامنا العادية على أحد الأعمال التي نثني عليها في شخصية أمير المؤمنين، أو عند مشاهدة شخص يروم السير على نهج أمير المؤمنين، وإنّما تضطرم عليه قلوبنا ونهب لمواجهته، وإذا غلبتنا الشقاوة ــ لا سمح الله ــ نشهر بوجهه السيف.

وهذا هو موطن الخلل.

ولهذا فمن المناسب الإطلاع على التفاصيل الجزئية من خصائصه، بقدر الإطلاع على الجوانب المستخلصة من خصاله؛ كأن نطّلع على كيفية عدله، وكيف كانت عدالته التي نالت كل هذا الإطراء والثناء؟ وكيف كانت سيرته في الجانب العملي؟ ثم نحاول كخطوة لاحقة التقرّب منه في مجال الممارسة العملية.

وهو أمر صحيح ويفضي إلى التكامل.

لابدّ وأنكم سمعتم ما ورد في بعض الروايات[1]: أنّ أشخاصاً كانوا يأتون إلى الأئمة (ع) ويقولون إننا شيعة لكم ــ كما ورد في رواية أن بعضهم جاءوا إلى أمير المؤمنين (ع) نفسه وقالوا له ذلك ــ إلاّ أنّ الأئمة (ع) كما تفيد هذه الروايات ــ كانوا يستنكرون ذلك منهم، ويقولون لهم: وأين وجه الشبه بينكم وبين شيعتنا وموالينا؟ فأنتم تتصفون بمثل هذه الخصائص والصفات والأعمال.

وبعبارة أخرى إنهم يطالبوننا بالعمل، والعمل يكون تابعاً للاعتقاد، وإن الإنسان يجب أن يكون لديه اعتقاد ما.

من الطبيعي أنّ الشعب الإيراني يجب أن يكون شاكراً لله تعالى على توفّر أجواء الإقتداء بأمير المؤمنين والالتزام بالإسلام في هذا البلد؛ فالغالبية العظمى من أبناء هذا الشعب تحدوهم رغبة قلبية للتوجّه صوب الحقيقة ــ وإن كان يوجد بينهم حالياً أشخاص لا يعملون بالفروع ــ بَيْدَ أنّ الأرواح والقلوب والمعتقدات تهفو صوب الاتجاه الذي يشير إليه أصبع أمير المؤمنين لهداية الناس.

رواية "الإرشاد" في مدح أمير المؤمنين (ع)

وقع اختياري اليوم على رواية وردت في كتاب "الإرشاد"[2] للشيخ المفيد أودّ قراءتها على أسماعكم، إلاّ أنني نقلت نصّها من كتاب "الأربعون حديثاً" لسماحة الإمام الخميني(قده) ــ وهو كتاب في غاية الحسن والفائدة ــ وطابقتها مع ما ورد في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد.

يقول الراوي[3]: كنّا عند الإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام)، فجرى ذكر أمير المؤمنين ومدحه [الإمام الصادق (ع)] بما هو أهله.

لقد نظرت في الرواية، فوجدت أنّ كل فقرة في هذه الرواية تشير إلى بُعد من أبعاد شخصية أمير المؤمنين، كزهده، وعبادته، والأبعاد الأُخرى التي سأقرؤها الآن.

---

[1] بحار الأنوار: ج 68، ص 192. كنز الفوائد: ج 1، ص 89.

[2] كتاب الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، للشيخ المفيد (338 ــ 413هـ) فيه تواريخ الأئمة الطاهرين الإثني عشر عليهم السلام والنصوص عليهم ومعجزاتهم وطرف من أخبارهم من ولاداتهم ووفياتهم ومدة أعمارهم وعدة من خواص أصحابهم وغير ذلك.

[3] الإرشاد: ج2، ص 141. باب (7) الحديث 4.

فيمتدح الإمام الصادق (ع) ــ طبقاً للرواية ــ أمير المؤمنين هكذا:

"والله ما أكل علي بن أبي طالب (ع) من الدنيا حراماً قط حتى مضى إلى سبيله" أي أنه كان يتجنّب أكل الحرام، ويتّجنب المال الحرام، ويتجنّب المنال الحرام, والمراد طبعاً هو الحرام الحقيقي وليس الحرام المنجز حكمه بالنسبة له؛ أي أنه كان يبتعد حتى عما كان فيه شبهة, وقد وضعوا أمامنا هذه الأمور كتعاليم ومثالاً عملياً، والأهم من ذلك كمثال فكري.

وأقرّ الإمام الصادق والإمام الباقر والإمام السجّاد بأنهم لا يستطيعون العيش بالشكل الذي عاشه الإمام علي، فما بالك إذا وصل الدور لأناس، من أمثالي.

القضية لا تتعلّق بكيفية الحياة التي نريد أن نعيشها أنا أو أنت؛ فتلك الحياة هي قمة الحياة والإمام يشير إلى تلك القمة، وهذا يعني أنّ الجميع يجب أن يسيروا في هذا الاتجاه, ولكن من الذي يستطيع بلوغ تلك القمّة؟ الإمام السجاد نفسه قال في هذا الحديث: إنه لا يستطيع العيش بتلك الصورة.

"وما عرض له أمران كلاهما لله رضاً إلاّ أخذ بأشدّهما عليه في بدنه", فإذا عرض له نوعان من الطعام كان يختار أدناهما، وإذا عرض له نوعان من الثياب كان يختار أردؤهما، وإذا عرض له عملان كلاهما حلال كان يختار أصعبهما عليه.

وهذا الكلام غير صادر من متحدّث عادي، وإنما المتحدّث هنا ــ كما تشير الرواية ــ هو الإمام الصادق، أي أنّ كلامه في غاية الدقّة, إذاً من المهم جداً التشدّد على الذات في الحياة الدنيا ومتاعها ونعيمها.

"وما نزلت برسول الله (ص) نازلة قط إلاّ دعاه فقدّمه ثقة به", أي أنّ الرسول متى ما ألمّت به مُلمّة كان يستدعيه وينتدبه لها ويقدّمه فيها؛ وذلك أولاً: لعلمه بأنه قادر على أدائها على أحسن وجه، وثانياً: إنه لم يكن يتمرّد على الأعمال العسيرة والمهام الشاقة، وثالثاً: كان على استعداد للجهاد والبذل في سبيل الله, ففي "ليلة المبيت" مثلاً حين هاجر رسول الله سرّاً من مكة إلى المدينة، كان يجب أن يبات أحد في سريره, وهناك قدّم الرسول علياً, وفي الحروب كان الرسول يقدّمه أيضاً, وفي جميع القضايا الأساسية والمهمّة التي كانت تعرض للرسول (ص) كان يقدّم لها علياً ثقة منه به.

والقضية هناك هي ليست مجرد ادّعاء يطلقه أشخاص حقراء وضعفاء من أمثالي، ونزعم أننا نريد العيش على هذه الشاكلة، وإنما القضية هي أننا يجب أن نسير في هذا الاتجاه.

والإنسان المسلم السائر على نهج علي، يجب أن يسير على هذا الخط، وأن يتقدّم إلى الأمام بأسرع ما يمكن.

ثم قال "وما أطاق أحد عمل رسول الله (ص) من هذه الأمّة غيره، وإن كان لا يعمل عمل وجل كان وجهه بين الجنّة والنار", أي على الرغم من كل هذه الأعمال الإيمانية الكبرى كان سلوكه سلوك إنسان يعيش بين الخوف والرجاء؛ فهو كان يخشى الله وكأنه متأرجح بين الجنّة والنار "يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه", وخلاصة هذا الكلام هي: أنه على الرغم من كثرة جهاده وبذله وعبادته إلاّ أنه لم يغتر بشيء من ذلك.

في حين إذا صلّى أحدنا ركعتي نافلة وقرأ بضعة جمل من الأدعية، وأراق دمعتين، يغتر بعمله الضئيل هذا ويتفاخر ويتصوّر نفسه وكأنه أصبح (طاووس العلّيين), أما أمير المؤمنين فلم يغتر بكثرة عمله الصالح.

أما لماذا يخاف أشخاص كالرسول وكأمير المؤمنين والسجّاد ــ وهم الذين خلق الله الجنّة من أجلهم ــ نار جهنم ويستعيذون بالله منها، فهو بحث آخر.

نحن أناس صغار وضعفاء وقصيرو النظر ولا ندرك عظمة الله، ومثلنا في ذلك كمثل طفل صغير يلعب أمام شخصية علمية كبرى ويجيء ويذهب غير آبهٍ لوجود هذه الشخصية؛ وذلك لأنه لا يعرف حقيقة هذه الشخصية, في حين تجد أنّ والد ذلك الطفل الذي يفوق عقله عقل طفله مئة مرّة يتواضع لتلك الشخصية, وهكذا حالنا أمام الله تعالى؛ فنحن لا ندرك عظمته وكأننا أطفال أو كأننا أشخاص غافلون وأناس وضيعون.

أمّا الذين وصلوا من مرحلة العلم إلى مرحلة الإيمان، ومن مرحلة الإيمان إلى مرحلة الشهود، ومن مرحلة الشهود إلى مرحلة الفناء في الله، أولئك تتجلّى عظمة الله أمام أبصارهم بشكل تتضاءل أمامه قيمة كل عمل صالح يعملونه، ويشعرون على الدوام وكأنهم لم يعملوا عملاً صالحاً، وإنهم مدينون لله.

"ولقد اعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار مما كدّ بيديه ورشح منه جبينه" أي أنّ الأموال التي أنفقها على عتق أولئك المماليك لم يحصل عليها بالمجّان، وإنما حصل عليها بتعب يديه وعرق جبينه وبالعمل الشاق؛ سواء في عهد الرسول أم في فترة الخمسة وعشرين سنة، أم في عهد خلافته، إذ يستدل من بعض الآثار والدلائل أنه كان يعمل أيضاً في زمن خلافته؛ فكان يحفر القنوات ويحيي الأراضي ويزرعها ويحصل على المال من هذا الطريق ثم ينفقه في سبيل الله، فكان يشتري العبيد ويعتقهم، وأعتق على هذا المنوال ألف عبد.

"وأنه كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة".

أي أنّ طعامه العادي الذي كان في داره هو الزيت والخل والتمر من الدرجة المتوسطة أو الرديئة، وكان طعامه يشبه الخبز واللبن أو الخبز والجبن في عرف مجتمعنا في الوقت الحاضر.

"وما كان لباسه إلاّ كرابيس، إذا فضل شيء عن يده دعا بالجلم فقصَّه".

أي أنه لم يكن يرتضي لنفسه حتى الزيادة في الأكمام، وإذا زاد القماش عن ذلك دعا بمقصٍ فقصّه؛ لكي يستخدم ذلك القماش في خياطة شيء آخر؛ لأن القماش كان قليلاً في ذلك العصر وكان الناس يواجهون مشكلة في الحصول عليه.

ثم تحدّث بعد ذلك عن عبادته, فقد كان(ع) قمّة الإسلام وأسوة للمسلمين, وجاء في هذه الرواية: "ما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين". وذكر الإمام الصادق(ع) فصلاً في باب عبادة الإمام السجّاد، وقال من جملة ما قال: "ولقد دخل أبو جعفر(ع) ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد" وعلامة ذلك أن وجهه قد شحب من السهر واختالت عيناه من البكاء وورمت رجلاه؛ فتألم الإمام الباقر لما شاهده من حال أبيه، فقال: "فلم أملك حتى رأيته بتلك الحال(البكاء) فبكيت رحمة له".

وكان الإمام السجاد متفكّراً ــ والتفكّر عبادة ــ فأدرك بالفراسة سبب بكاء ولده الباقر، فأراد أن يقدّم له درساً، فرفع رأسه وقال: "يا بنيّ أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب".

ويبدو أن هناك كتابات ومدّونات في باب قضاء أمير المؤمنين وحياته وأحاديثه كانت موجودة لدى الأئمة، ويستشف من مجموع الروايات الأخرى أنهم كانوا يرجعون إليها ويستفيدون منها في مواقف شتّى.

يقول الإمام الباقر:"فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجّراً". فالإمام السجاد يقدّم هنا درساً للإمام الباقر وللإمام الصادق، ويقدّم درساً لي ولكم، "قال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب(ع)".

الإمام السجاد كان يكثر من عبادة الله إلى الحد الذي جعل الإمام الباقر يرقّ لحاله ــ وليس مثلي ومثلكم فنحن نستعظم ما هو أقل من ذلك ــ فالإمام الباقر هو نفسه إمام وله مقامات رفيعة، إلاّ أنه يتألّم لكثرة عبادة علي بن الحسين ولا يطيق الصبر على البكاء فيبكي لا إرادياً, ومع كل هذا نجد علي بن الحسين مع كل عبادته يقول: "من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب"؟ أي أنه كان يرى بوناً شاسعاً بينه وبين علي.

حاجة البشرية لصفات وخصال أمير المؤمنين(ع)

علي الذي نعشقه أنا وأنت، وتعشقه الدنيا، ويكتب المسيحي كتاباً عنه انطلاقاً من عشقه له، ويثني عليه حتى من لا يلتزم عملياً بأحكام الدين، لماذا تنظر له عن بعد؟

اقترب منه وانظر إليه عن كثب؛ كل من ينظر إلى قمة (دماوند)[4] عن بعد ينبهر بهـا, ولكن يجب عليه أن ينطلق ويجتاز المنعطفات والمسالك الوعرة ويقترب إليها.

البشرية اليوم بحاجة إلى الخصال التي كان أمير المؤمنين رافع لواءها؛ لأنّها خصال لا تبلي بتقدّم العلم والتكنولوجيا، ولا تندثر بظهور أنماط جديدة من الحياة.

فالعدالة لا تُبلى، والإنصاف لا يُبلى، والدعوة إلى الحق لا تُبلى، ومقارعة الغطرسة والتجبّر لا تُبلى؛ وارتباط القلب بالله لا يبلى، لأن هذه الخصال ثابتة في فطرة الإنسان على امتداد التاريخ, وقد كان أمير المؤمنين رافعاً لواء هذه الخصال.

البشرية اليوم متعطّشة لهذا الكلام ولهذه الحقائق, فما هو الحل إذاً؟ الحل يكمن في الاقتراب والدنو, فلا نستكثر كلمة حق قلناها أنا وأنت هنا أو هناك؛ لأن هذا نهج علي، ولا نستكثر ساعة عَبَدنا الله بها في الليل أو النهار، ويداخلنا العُجب بأنفسنا؛ فعلي كان كذلك، ولا نستعظم موقفاً تقحّمنا فيه المخاطر؛ فعليّ كان كذلك, عليكم بالاقتراب من خصال علي جهد المستطاع.

يا أيّها الصائمون، يا أيّها المصلّون، يا مصلّو النوافل، أيها المجاهدون في سبيل الله، أيّها المتقحّمون المخاطر، أيّها الزهّاد في الدنيا، يا أسود النهار، وأيها العبّاد في الليل، هنيئاً لكم، فأنتم أقرب إلى علي، ويمكنكم أيضاً أن تكونوا أقرب فأقرب.

إذا كان العالم الإسلامي بل العالم كله يعترف لعلي بالفضل فذلك يُعزى إلى ما كان يتّصف به من زهد وعبادة وشجاعة وحزم في سبيل الله؛ فمتى ما اقتضت الحاجة كان يهوي بسيفه على أعداء الحقيقة وأعداء الدين وأعداء الله بلا خوف أو وَجَل، ولا تأخذه في الله لومة لائم, فإذا ما وجد شخص منحرف ومضر ومخلّ، في طريق السير إلى الله، كان لسيفه القول الفصل, ومتى ما كان هناك مظلوم ومسلوب الحق كان أمير المؤمنين يتحوّل إلى أرق إنسان وأعطف إنسان.

جاء في رواية أنّ أمير المؤمنين كان يكثر من إطعام الأيتام بيَده إلى حد جعل أحد الأشخاص ــ ولابدّ أنه كان شاباً على سبيل المثال ــ يقول: يا ليتنا كنا أيتاماً حتى يكون أمير المؤمنين رؤوفاً بنا إلى هذا الحد.

وكان مجهولاً لدى الفقراء والمساكين والمحتاجين ولم يعرفوه إلاّ بعدما ضرب، أنه هو ذلك الشخص الرؤوف الذي كان يغشاهم وهم لا يعرفونه.

---

[4] جبل داماوند يقع شمال إيران ووسط سلسلة جبال البرز، يبلغ ارتفاعه 5627م مما جعله من أعلى القمم في غربي آسيا وأوروبا، ويتألف جبل دماوند من سبعين فوهة بركانية وتنتشر على سفوحه قرى كثيرة متناثرة.

أما كلامه في نهج البلاغة فهو أفصح كلام إنسان عند العرب, ونهج البلاغة ذروة في الفن والجمال؛ جمال اللفظ وجمال المعنى، ويبهر العقول, ولم يستطع أي شاعر عربي كبير أو كاتب أو أديب عربي أن يقول بأنه غني عن الرجوع إلى نهج البلاغة.

وعلى كل حال، فقد فجع أهل الكوفة بالأمس بشهادته، ولم يشيّع جثمانه في الكوفة، ولم يجتمع الناس حول جثمانه.

ولعل كان يرى تسلّط الأعداء على الكوفة بعد ذلك بعشر سنين أو عشرين سنة, فما الذي جرى في الكوفة؟ فالذين داروا ببناته في أسواق الكوفة، ورفعوا رأس فلذة كبده على رؤوس الرماح، ما كانوا يتورّعون عن نبش قبره والتنكيل برمسه؛ ولهذا السبب بقي قبره مخفياً ولم يعثر عليه إلاّ بعد مضي مدّة طويلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

<قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفؤاً أحد>.

نسألك اللهم وندعوك باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم، وبعلي وأولاده الطيبين الطاهرين، يا الله يا الله يا الله يا رحمان يا رحيم، ونسألك اللهم بحق محمد وآل محمد أن لا تفرق بيننا وبين علي بن أبي طالب في الدنيا والآخرة، ووفّقنا للاقتداء بهذا الرجل الذي يمثل قمّة شامخة في المجد والجمال والعظمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين وانصر المسلمين المجاهدين في سبيلك في أي بقعة من العالم كانوا.

اللهم قرّب قلوب المسلمين إلى بعضها، واجمع شمل الشعوب الإسلامية.

اللهم انصر الشعب الإيراني العظيم في جميع الميادين، واخذل أعداءه.

اللهم يسّر جميع المشاكل على هذا الشعب وعلى جميع المسلمين.

اللهم وفّق وأيّد خَدَمة هذا الشعب وهذا البلد.

اللهم وفّقنا للخدمة في سبيلك ولخدمة هذا الشعب.

اللهم بحق محمد وآل محمد أحينا مسلمين وأمتنا أفضل ميتة يموتها إنسان مسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين وعلى عليّ أمير المؤمنين وعلى الصديقة الطاهرة سيّدة نساء العالمين وعلى الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، وعلي بن

الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والخلف القائم المهدي، حججك على عبادك وأمنائك في بلادك، وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وأستغفر الله لي ولكم.

اليوم هو يوم القدس, وقد نزل شعبنا إلى الشوارع ككل عام، استجابة لدعوة الإسلام ولدعوة الإمام الراحل وتلبية لاستغاثة مظلومة من شعب مظلوم ومغصوب الحق, وقد أخبروني أنّ مشاركة الشعب في هذه المسيرات كانت حتى الآن مشاركة فاعلة وحماسية، ولابدّ أن أخباراً لاحقة ستصل أيضاً وستنعكس أصداؤها في وسائل الإعلام.

ومن المؤكّد أنّ جماعات إسلامية في شتّى أرجاء العالم ستشارك في تكريم هذا اليوم، وستصلنا تفاصيل ذلك في ما بعد, وأنا أريد التحدّث اليوم حول هذه القضية.

موقع القضية الفلسطينية في القرن العشرين

أولاً: يجب القول أنّ القضية الفلسطينية واحدة من وصمات العار الكبرى في هذا القرن الذي شارف على نهايته.

إنّ وصمات العار على جبين هذا القرن كثيرة، ومنها أنه وقعت فيه حربان طاحنتان، ونُصبت فيه حكومات كثيرة على أيدي مستعمري الأمس ومن جملتها بلدنا, وفي هذا القرن ظهرت حكومة القمع والجور والاضطهاد البهلوية الفاسدة العميلة, ومن جملة القبائح التي وقعت في هذا القرن ــ الذي اتّسم أيضاً بمحاسن ولكنها ليست موضع بحثنا حالياً ــ أو ربّما يمكن القول: إنّ أقبحها هي القضية الفلسطينية؛ وذلك لأنهم طردوا شعباً من بلده ــ أرجو من الشباب الذين ليس لديهم إطلاع مسبق بالقضية الفلسطينية التأمّل والتمعّن في هذه الكلمات ــ وجمعوا حفنة من الناس من أرجاء العالم وأحلّوهم محلّ أبناء ذلك الشعب، بدعوى أنّ الشرذمة التي جمعوها من أكناف العالم تعود إلى عنصر واحد وهو العنصر الإسرائيلي، أو العنصر اليهودي! أي أنّ هذا العمل عمل عنصري قبيح, وهذا العمل فيه خزي وعار على كل من يقوم به في أي مكان في العالم حتى وإن كان على نطاق أضيق, في حين أنهم مارسوا هذا العمل على نطاق بلد كامل, فمن هي الجهة التي قامت بهذه الفعلة؟ في الحقيقة إنها بريطانيا ومن بعدها أمريكا.

أبدية القضية الفلسطينية

يلاحظ اليوم إنّ البعض يتوجّه باللائمة إلينا؛ بسبب بحثنا للقضية الفلسطينية على اعتبار أنها قد انتهت وأغلق ملفّها.

وأنا أقول: إنّ هذه القضية لم تنته قط, ولن يبقى الفلسطينيون أصحاب الأرض وأولادهم خارج أرضهم إلى الأبد، كما يتوهّمون، أو إذا كانوا في داخل أرضهم يعيشون كأقلية مقهورة ومضطهدة، ويبقى أولئك الغاصبون الأجانب فيها, فهذا شيء غير ممكن, فحتى البلدان التي أخضعت مئة سنة لتسلّط قوّة أخرى ــ كما هو الحال بالنسبة لقزاخستان وجورجيا وهما من بلدان آسيا الوسطى التي استقلّت حديثاً ــ كان بعضها خاضعاً للاتحاد السوفيتي، وبعضها الآخر كان خاضعاً لروسيا قبل ظهور الاتحاد السوفيتي, فهذه البلدان نالت استقلالها من جديد وعادت إلى أهاليها وشعوبها؛ ولهذا فلا يُستبعد, بل من المحتّم أنّ فلسطين ستعود للشعب الفلسطيني وسيقع هذا الأمر بإذن الله, ومعنى هذا أنّ القضية الفلسطينية لم يُغلق ملفّها، والتصوّر بأنها انتهت وختمت، تصوّر خاطئ.

الدعوة إلى السلام مقدمة لعدوان لاحق

إنّ من جملة الأساليب التي يستخدمها الصهاينة وحماتهم وعلى رأسهم أمريكا، هو استغلال مصطلح "السلام" الجميل, فَهُم يدعون إلى السلام ويشيدون به كثيراً, ولكن أين هو السلام، ومع من؟ فالذي يدخل دارك بالعنف ويضربك وينكل بزوجتك وأطفالك ويحتل غرفتين ونصف من مجموع الغرف الثلاثة التي في دارك، ثم يتوجّه إليك باللوم على معارضته أو التشكّي منه، ويدعوك إلى التصالح معه وإقرار السلام, فهل هذا سلام؟ السلام هو أن يخرج المحتل من الدار المغصوبة وإذا بقيت بين الجانبين حرب، يمكن التصالح بعدئذ, أما إذا بقي الغاصب جاثماً في الدار وبعد كل الجرائم التي ارتكبها، ولو كان بمقدوره لَما تورّع عن أية جريمة أخرى؛ فها هو العدو الصهيوني يهاجم في كل يوم جنوب لبنان، وهو لا يَغير على المقاتلين اللبنانيين، وإنما يستهدف قراه ومدارسه، كما حدث قبل عدّة أيام حين هجم على مدرسة هناك وقتل عدداً من الأطفال؛ وهؤلاء لم يحملوا السلاح ولم يقوموا بأي عمل عسكري, ولكن هذه هي طبائع المعتدي.

فالصهاينة حينما دخلوا لبنان ارتكبوا فيها المجازر، وهكذا فعلوا أيضاً في دير ياسين وغيرها من الأماكن الأخرى، وقتلوا أناساً لم يقوموا بأي عمل ضدّهم، أو أنّ أولئك الضحايا على الأقل لم يقوموا بأي عمل ضدهم. إلاّ أن الشباب العربي الغيارى هبّوا لمحاربتهم بسبب احتلالهم لأرضهم وما ارتكبوه من أعمال إجرامية.

أما الناس الذين لاقوا كل ذلك الاضطهاد والظلم منهم وذبحوهم وأخرجوهم من ديارهم ومزارعهم فإنهم لم يكونوا قد مارسوا أي عمل عسكري ضدّهم.

ومعنى هذا أنّ طبيعة هذا النظام طبيعة عدوانية.

لقد أقيم الكيان الصهيوني أساساً على العنف والقهر والقسوة، وبدون هذه الأساليب لم ولن يكون قادراً على البقاء؛ فأي سلام هذا الذي يدعون إليه؟ إذا اقتنعوا بحقّهم وأعادوا فلسطين إلى أصحابها وذهبوا إلى سبيل حالهم، أو استأذنوا من الحكومة الفلسطينية بالعيش إلى هذه الأرض، كلهم أو بعضهم، فلن يحاربهم أحد.

أما الحرب الحالية فهي؛ لأنهم اقتحموا دار غيرهم واستولوا عليها بالعنف, وشرّدوا منها أهلها ولازالوا يضطهدونهم ويمارسون عدوانهم ضد دول المنطقة ويشكّلون تهديداً لها؛ وعلى هذا فَهُم يدعون إلى السلام من أجل اتخاذه كمقدمة لعدوان لاحق يشنّونه على نحو آخر.

مباحثات السلام لون من ألوان الخداع والتضليل الإسرائيلي

من جملة الأمور المطروحة في الوقت الحاضر ــ من أجل وضع القضية الفلسطينية في أدراج النسيان, والحيلولة دون تداولها على صعيد الرأي العام للأمة الإسلامية ــ هي المباحثات المُسمّاة بمباحثات السلام الجارية حالياً بين فئة من الفلسطينيين ــ وهم عرفات وجماعته ــ وبين الإسرائيليين؛ أي موضوع المساومة وما يسمّى بإدارة الحكم الذاتي الفلسطيني, وما شابه ذلك من هذه المزاعم.

وهذه بحد ذاتها واحدة من أقبح ألوان الخداع والتضليل الإسرائيلي التي وقع في حبائلها ــ وللأسف ــ عدد من المسلمين وعدد من الفلسطينيين أنفسهم.

فمن جملة الأمور التي يتحدّثون عنها في الوقت الحاضر هي المباحثات الجارية بين هذه الجماعة وقادة إسرائيل، وهي واحدة من أقبح وأبشع تلك الأساليب؛ وذلك لأن التعهّدات الإسرائيلية التي قدّموها في آخر مباحثات لهم ــ وهي مباحثات (واي ريفر ــ 2)[5]، على حد تعبيرهم ــ لو تحققت بأجمعها فلن تنال هذه الجماعة الفلسطينية المسكينة سوى ــ أو أكثر بقليل ــ من أربعة بالمئة من مجموع الأرض الفلسطينية, أي أنّ

---

[5] اتفاقية واي ريفر (2) عام 1999م. بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية وبصفة شاهد الولايات المتحدة الأميركية والمملكة الأردنية الهاشمية. التي هي تعديل للاتفاقية الأولى عام 1998 التي وقعت على الانسحاب الإسرائيلي من بعض مناطق الضفة، وعلى اتخاذ تدابير أمنية لمكافحة الإرهاب، وتوطيد العلاقات الاقتصادية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، وإعادة الانتشار الثاني للقوات الإسرائيلية في الضفة الغربية.

الأرض الفلسطينية التي تعود كلها للشعب الفلسطيني، يقدّمون له أربعة بالمئة منها, وهذه الأربعة بالمئة ليست كلها مجتمعة في مكان واحد، وإنما تتألّف من حوالي عشرة مواضع متفرّقة، يقدّمونها لجماعة سوداء الوجه دَعَوها لتشكيل حكومة على تلك الأرض، ولكنهم لم يسمحوا لها بممارسة مهامّها كحكومة، وإنّما استخدموهم ضد الفلسطينيين؛ لكي لا يقوموا بعمل مضاد لإسرائيل في تلك المناطق, أي أنهم قدّموا لهم مساحة صغيرة ومحدودة ومتفرّقة وغير قابلة للإدارة وبشكل ناقص ليقيموا عليها دولة، ويجب عليهم مقابل ذلك القيام بواجبات الأجهزة الأمنية الإسرائيلية ضد المناضلين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، هذا فضلاً عن الدور الذي تمارسه الأجهزة الأمنية الإسرائيلية نفسها هناك.

فهل هناك خيانة أسوأ من هذه؟!

أعظم خيانة بحق الشعب الفلسطيني

إنّ الخيانة التي يرتكبها الذين يمارسون هذا العمل باسم الفلسطينيين أسوأ وأبشع وأنكى من جميع الخيانات التي اقترفت ضد فلسطين حتّى يومنا هذا! ولم يقدّموا للشعب الفلسطيني شيئاً ولن يستطيعوا أن يقدّموا له أي شيء.

وقد كتب كاتب فلسطيني عربي مقيم في أمريكا: أنّ جماعة عرفات لم تتمكّن إلى الآن من جمع القمامة من شوارع مدينة غزة، لكنهم استطاعوا خلال هذه المدّة إيجاد خمسة أجهزة أمنية ومخابراتية أخذت تمارس نشاطها في التجسس على أبناء الشعب! فهل هذه هي الدولة الفلسطينية؟ وهل هذه هي عودة الشعب الفلسطيني؟ وهل هذا هو إحقاق حقوق الفلسطينيين؟ إنهم عديمو الحياء إلى هذا الحد!

لقد قلتُ عندما دخل هذا الشخص في أول مباحثات له مع الإسرائيليين: إنه شخص خائن وأحمق؛ فهو لو كان خائناً ولكنه عاقل، لقام بعمل أفضل من ذلك! وأنا لا أدري على وجه الدقّة ولكنني أحدس أنّ الأمريكيين وأجهزة التجسس الإسرائيلية تستغل نقاط ضعفهم؛ فهم يعانون من نقاط ضعف كثيرة، ومنغمسون في حب الدنيا.

فحينما ينعدم الدين، تجري الأمور على هذه الشاكلة، والله وحده يعلم بمدى المشاكل التي تورّطوا فيها مالياً وسلوكياً وأخلاقياً طوال هذه السنوات التي مضت، ويبدو أن أولئك [الأمريكيين والإسرائيليين] قد ركّزوا على نقاط الضعف هذه, ومن جهة أخرى فإن الإعياء والتوقّف عند منتصف الطريق والتراجع عن الأهداف هو الذي أدى بهم إلى الوقوع في هذه الورطة الرهيبة، وهذا المستنقع المهلك، وهذا الشقاء، وهذه اللعنة الأبدية.

فهل تتصورون بوجود شخص فلسطيني لا يلعنهم مـــن أعماق قلبه، إلاّ أن يكون في عداد جلاوزتهم، وشريك لهـــم في المصالـــح؟ يوجد بين أربعة إلـــى خمســـة ملايـــين فلسطيني مشرّد خارج أرضه، وحوالي ثلاثة ملايين يعيشون داخـــل الأرض المحتلّـــة، وهـــؤلاء يجـــب أن يؤخذ رأيهم حول فلسطين بنظر الاعتبار؛ فهؤلاء قبضاتهم مشدودة وقلوبهم مليئة غيضاً.

القضية الفلسطينية قضية إلهية

هذه التحـــدّيات كنـــتُ قد عرضتها عـــلى بعض الدول العـــربية منذ عهد رئاســـتي للجمـــهورية، وأَثَرتُ هـــذه الأمـــور أمامها، إلاّ أنّ حكومـــات تلك الدول كانت تقول: إننا لسنا فلسطيـــنيين أكثر من الفلسطينيين أنفسهم، ويجب القبول بما يريدونه هم, وطبعاً لم تكن مفاوضات السلام مطروحة حينها على هذه الصورة، إلاّ أن معالمها كانت تلوح في الأفق.

أجل، إنّ القضية الفلسطينية تمثّل أولاً: قضية العالم الإسلامي, وفضلاً عمّا فيها من جوانب أمنية وسياسية واقتصادية، فهي قضية تكليف إسلامي، والأهم من كل ذلك هـــو أنّها قضية إلهية, أمّا إذا كان الشخص لا يؤمن بالله ويريد العمل مـــن أجـــل الشـــعب الفلسطيني فقط يجب عليه الامتثال لإرادة الشعب الفلسطيني.

الشعب الفلسطيني اليوم هم أولئك المعتقلون في سجون الكيان الغاصب، والعشـــرات من أمثالهم الذين يردّدون الهتافات وينفّذون العمليات ضد إسرائيل في المسجد الأقصى وفي الأسواق والشوارع وفي كل أرجاء الأرض السليبة, وإذا كانت هناك أقلّية صغيرة دفعتها الأطماع إلى الدخول في مفاوضات التساوم فهي لا تمثّل الشعب الفلسطيني كـــي نقول: إننا لسنا فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين أنفسهم.

لازلتُ أتذكّر أنّ هذا الكلام قالته قبل أربع عشر سنة دولة عربية ــ لا أودّ ذكر إسمها ــ لم يكن يبدو إنها آيلة إلى الفســـــاد بسبب ما لهم من ماضٍ ثوري، وشعرتُ منذ ذلك الوقت أنها أخـــذت في الانحراف، ثم أخذ انحرافها يتجلّى أكثر فأكثر, ولا أريد الإشارة هنا إلى خصائصها الأخرى.

أساس القضية الفلسطينية

ما هو أساس القضية الفلسطينية؟ أساسها هو: أنّ حفنة من اليهود المتنفّذين في العالم راودتهم فكرة تأسيس وطن مستقل لليهود، وقد استغلت الحكومة البريطانية هذه الفكرة؛ من أجل حلّ مشكلتها.

وكان اليهود قبل ذلك يفكّرون في التوجّه إلى أوغندا وتأسيس وطن قومي لهم هناك.

وفي وقت آخر كانوا يفكّرون في تأسيس وطن لهم في طرابلس عاصمة ليبيا، وتقدّموا بطلبهم ذاك إلى الإيطاليين الذين كانوا يحتلّون طرابلس في حينهـــا، إلاّ أنّ الإيطـــاليين رفضوا طلبهم, وفي ختام المطاف اتفّقوا على هذه الغاية مع الإنجليز الذين كانت لهم في ذلك الوقت أغراض استعمارية خطيرة للغاية في الشـــرق الأوســـط، ورأى الانجليـــز حينذاك أنّ من المفيد بالنســـبة لهم استقـــدامهم إلى المنطقة كأقلّيـــة في أول الأمـــر, ثم يزدادون تدريجياً ويتخذون لهم بقعة من الأرض في موقع حساس ــ لأن فلسطين تقـــع في منطقة حساسة ــ ثم يقيموا لهم دولة فيها لتصبح في المستقبل حليفـــاً لبريطـــــانيا وتحول دون ظهور اتحاد بين دول العالـــم الإســـلامي وخاصة بين الدول العربية فـــي المنطقة.

صحيح إنّ الآخرين إذا كانوا واعين يصبح العدو سبباً لاتّحادهم، غير أنّ العدو الذي يتلقّى كل هذا الدعم الخارجي يستطيع بثّ بذور الاختلاف والفرقة بواســـطة أســـاليبه الجاسوسية وغيرها من الأساليب الأخرى, وهذا هو ما فعله تماماً؛ فهو يقترب من جهة ويضرب الجـــهة الأخرى، وينكل بجهة ثالثـــة، ويَغير على جهة رابعة.

وخلاصة القول هي: إنهم تلقّوا الدعم من بريطانيا بالدرجة الأولى، وبعـــض الـــدول الغربية الأخرى، ثم إنهم انفصلوا تدريجياً عن بريطانيـــا وارتبطـــوا بأمريكـــا، وقـــد احتضنتهم أمريكا تحت جناحها حتى وقتنا الحاضر.

لقد جاءوا واحتلّوا أرض فلسطين وأوجدوا لهم دولة بهذه الصورة, وكان الأســـلوب الذي اتّبعوه لبسط سلطتهم على هذه الأرض هو أنهم لم يأتوا في بداية الأمر عن طريق الحرب وإنّما جاءوا عن طريق الحيلة، وعملوا على شراء الأراضي الفلسطينية الواسعة الخصبة التي كان الفلاحون والمزارعون العرب يعملون فيها، بأسعار مضـــاعفة مـــن مُلاّكها ــ الذين كانوا يعيشون في أمريكا وأوربا ــ وكانوا يترقّبون مثل هذه الفرصة، فسارعوا إلى بيع أراضيهم لليهود, وكان لهم سماسرة ــ طبعاً ــ ساعدوهم على شراء تلك الأراضي، حيث يُنقل أنّ أحد سماسرتهم كان السيد ضيـــاء[6] شـــريك رضـــا فـــي

---

[6] ضياء الدين الطباطبائي (1890 ــ 1968م) صحافي وسياسي إيراني. ولد في يزد بإيران وكان أبوه رجل دين معروفاً. دخل ضياء الدين المعترك السياسي وتسنم الحكومة عن طريق الانجليز ونظم مع الكولونيل رضا خان (الشّاه رضا بهلوي) انقلاباً ضد القاجارين. عقد معاهدة مع الاتحاد السوفيتي، استقال وغادر إيران بسبب خلافه مع رضا خان عام 1921م. منحه الإنجليز حق اللجوء إلى فلسطين فعاش فيها حتى عام 1943، ثم عاد إلى إيران وأسس حزب (إرادة الأمة) المناصر للإنجليز. وفي عام 1944 انتخب عضواً في البرلمان ومارس ضغطاً على رئيس الوزراء لإخراج وزراء حزب (تودة) الشيوعي من الوزارة، الأمر الذي أدّى

انقلاب عام 1921م الذي ذهب من إيران إلى هناك وعمل كسمسار لشراء الأراضي من المسلمين لليهود والإسرائيليين.

وما أن أصبحت تلك الأراضي ملكاً لهم حتى عملوا تدريجياً على إخراج المزارعين منها بأساليب وحشية وقاسية، كالضرب والقتل, وعملوا حينذاك على استمالة الرأي العام العالمي إلى جانبهم بأساليب الكذب والتضليل.

أسس التسلّط الصهيوني الغاصب على فلسطين

لقد قام التسلّط الصهيوني الغاصب على فلسطين، على ثلاثة أسس، هي:

أولاً: استخدام أسلوب الشدّة والقسوة مع العرب، حيث اتّسم أسلوب تعاملهم مع أصحاب الأرض الأصليين بالعنف والهمجية، وبعيداً عن كل أساليب اللين والمرونة.

ثانياً: الكذب على الرأي العام العالمي، وقد اتخذ أسلوب الكذب هذا طابعاً مثيراً للدهشة. ومارسوا أساليب الكذب والتضليل قبل اغتصابهم لأرض فلسطين وبعده، حتى أنّ الكثير من الرأسماليين اليهود صدّقوا تلك الأكاذيب، بل إنهم خَدَعوا بها أشخاصاً كالكاتب والفيلسوف الاجتماعي الفرنسي "جان بول سارتر"[7] الذي كُنا في أيام شبابنا ولهين به وبأمثاله؛ فهذا الفيلسوف ألّف كتاباً قرأته قبل ثلاثين سنة كتب فيه "شعب بلا أرض، وأرض بلا شعب", أي أنّ اليهود كانوا شعباً بلا أرض وجاءوا إلى فلسطين التي كانت أرضاً بلا شعب, كيف يدّعي أنها كانت أرض بلا شعب؟ بل كان فيها شعب يسكن ويعمل، وهناك شواهد كثيرة تثبت هذا الرأي.

فقد ذكر أحد الكتّاب الأجانب أنّ أراضي فلسطين كانت تغطّيها مروج خضراء على امتداد البصر من مزارع الحنطة.

فكيف يزعم أنها أرض بلا شعب؟! لقد صوّروا للعالم وكأن فلسطين كانت أرضاً بائرة وبائسة ومهجورة، وهم جاءوا وعمّروها؛ هذا هو الكذب على الرأي العام.

حاولت تلك الجماعة أن تصوّر نفسها على الدوام وكأنّها مظلومة، ولازالت تتبع هذا الأسلوب في الوقت الحاضر.

فالمجلاّت الأمريكية مثل مجلتي "التايم" أو "نيوزويك" اللتين أراجعهما في بعض الأحيان، إذا وقعت أدنى حادثة لعائلة يهودية، تسارع إلى نشر صور وتفاصيل وعمر

إلى اعتقاله بسبب رغبة رئيس الوزراء في التقارب مع السوفيت آنذاك. وعلى أثر ذلك انسحب الطباطبائي من الحياة السياسية حتى وفاته في سنة 1968م.

[7] جان بول شارل ايمارد سارتر (1905 ــ 1980م) فيلسوف وروائي ومؤلف مسرحي فرنسي.

القتيل وتضخّم مظلومية أطفاله، ولكنها لا تشير حتى بأدنى إشارة إلى مئات وآلاف المآسي والمصائب التي تحل بالشباب الفلسطينيين، والعوائل الفلسطينية، والأطفال الفلسطينيين، والنساء الفلسطينيّات في داخل الأرض المحتلّة وفي لبنان!

ثالثاً: أسلوب الاتصالات وتكوين العلاقات والتواطؤ وممارسة الضغوط، وهو ما يسمونه باللوبي. ويقوم هذا الأسلوب على مبدأ الاتصال والتفاوض مع الساسة والمثقفين والكتّاب والشعراء واستمالتهم إلى جانبهم والتواطؤ معهم؛ وهذه هي الأساليب الثلاثة التي استطاعوا بواسطتها الاستيلاء على هذا البلد.

وفضلاً عن كل ذلك فقد وقفت القوى الأجنبية إلى جانبهم؛ وأهم تلك القوى هي بريطانيا والأمم المتحدة, وقبل الأمم المتحدة عصبة الأمم التي أنشئت بعد الحرب لإقرار ما يُسمّى بقضايا السلام.

وحصل الصهاينة دوماً على دعم تلك القوى، إلاّ في حالات معدودة.

ففي عام 1948 أصدرت عصبة الأمم قراراً قسّمت بموجبه فلسطين بدون أي سبب، وأعطت لليهود سبعة وخمسين بالمئة من أرض فلسطين، في حين لم يكن لهم قبل ذلك التاريخ سوى خمسة بالمئة منها.

ثم إنهم أقاموا دولة هناك وأخذوا يشنّون الهجمات على القرى والمدن والبيوت وعلى المواطنين العزّل الأبرياء, إضافة إلى أنّ الدول العربية قصّرت بعض الشيء, ثم وقعت بعد ذلك عدّة حروب؛ ففي حرب 1967م استطاع الإسرائيليون أن يحتلّوا بمساعدة أمريكا والدول الأخرى مساحات من أراضي مصر وسوريا والأردن, وبعد حرب عام 1973م استطاعوا بمساعدة تلك القوى أن يكسبوا نتيجة الحرب لصالحهم ويستحوذوا على أراضٍ أخرى.

أهداف الكيان الصهيوني

إنّ هدف إسرائيل هو التوسّع، وهي لا تقنع بأرض فلسطين وحدها, فهم في بداية الأمر كانوا يريدون الحصول على شبر واحد، ثم احتلّوا نصف فلسطين، ثم احتلّوا فلسطين كلها، ثم اعتدوا على الدول المجاورة لفلسطين ــ كالأردن وسوريا ومصر ــ واحتلّوا مساحات من أراضيها.

والهدف الأساسي للصهيونية حالياً هو إنشاء إسرائيل الكبرى, إلاّ أنهم قلّما يذكرون هذه التسمية في هذه الأيام، وغالباً ما يحاولون التستّر عليها، في محاولة منهم لتضليل الرأي العام؛ وهو ما يفرض عليهم التكتّم على أهدافهم التوسّعية في الوقت الحاضر؛ لأنهم يواجهون معضلة عسيرة وهي الحاجة الماسّة إلى السلام؛ وسبب ذلك هو أنّ

الصهاينة في الفترة الممتدة منذ عام 1974م إلى عام 1976م لم يتعرّضوا لأيّ عمل نضالي، ومع ذلك فهي لم تمض على ما يرام.

ثم بدأ بعد ذلك الكفاح المسلح الذي كان ينطلق من خارج الأرض الفلسطينية؛ حيث اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية وبقية الفصائل من الأردن وسوريا وغيرهما مراكز لنشاطها وأخذت تبعث المجاميع المسلّحة التي كانت تعتمد مبدأ الكرّ والفرّ، ولم تشكّل آنذاك داخل الأرض المحتلة خلايا للمقاومة؛ وذلك لأن الفلسطينيين في الأرض المحتلّة كانوا يعيشون حالة من الرعب سلبتهم القدرة على القيام بأي عمل.

ولكن بعد انبثاق الثورة الإسلامية وقع حدثين مهمّين:

الأول: هو أنّ المقاومة الفلسطينية التي كانت مقاومة غير دينية تحوّلت إلى مقاومة إسلامية واتّخذت طابعاً إسلامياً.

وحتى العناصر التي كانت تمارس نشاطها من خارج الأرض المحتلة وتهاجم إسرائيل من لبنان أو من المناطق الأخرى، دخلت إلى الميدان بدافع إسلامي، وهو دافع قوي جداً.

الثاني: انبثاق الانتفاضة في الأرض المحتلّة والوطن المغتصب, وهم يخافون هذه الانتفاضة؛ لأنها تشكّل خطراً عليهم.

ومن الطبيعي أنهم يحاولون عدم تصوير الأوضاع كما هي في الواقع لكن الحقيقة هي أنّ مقاومة الشعب الفلسطيني داخل فلسطين مؤثّرة وقاتلة وتقصم ظهر الكيان الصهيوني؛ وذلك لأنهم قدّموا الوعود لليهود الذين جمعوهم من شتّى أرجاء العالم بأنهم سيعيشون هنا حياة رغيدة وآمنة وسعيدة، وقطعوا لهم العهود بأنهم سيكونون أسياداً في هذا الوطن, أما في الوقت الحاضر فهم لا طاقة لهم على مواجهة الجيل الناهض وأصحاب الأرض الأصليين الذين وعوا حالياً وزعزعوا أركان الكيان الصهيوني؛ ولهذا السبب فإن الصهاينة مضطرون حالياً لإقرار السلام مع دول المنطقة بأي نحو كان ليتسنّى لهم التفرّغ لشؤونهم الداخلية.

وقضية التصالح مع منظمة التحرير الفلسطينية وياسر عرفات هي امتداد لهذا التوجّه, فحاولوا المجيء بعنصر فلسطيني إلى مشروع التساوم لعلهم يستطيعون من خلال ذلك إخماد صوت الفلسطينيين الثائرين داخل الأرض المحتلّة, إلاّ أنهم لم يتمكّنوا من ذلك.

وفي ظل هذه الظروف لا يتجرّأ الكيان الصهيوني الغاصب في الوقت الحاضر على المجاهرة بشعاره الأساسي وهو التوسّع من النيل إلى الفرات. فأرض الميعاد التي ينادي بها الصهاينة حسب مزاعمهم الباطلة تمتد من النيل إلى الفرات،

وكل ما لم يحتلّوه منها، يجب عليهم احتلاله في ما بعد, وهذه هي خطّتهم إلاّ أنهم لا يتجرّأون على المجاهرة بها في الوقت الحاضر.

الموقف الإسلامي من القضية الفلسطينية

أما رأينا في هذا المجال فهو: أنّ القضية الفلسطينية تعتبر من وجهة النظر الإسلامية قضية مركزية وفريضة على جميع المسلمين ومن جملتهم نحن؛ فجميع علماء الدين الشيعة والسنّة الماضون منهم والحاضرون يصرّحون أنّ أرض الإسلام إذا وقع أي جزء منها تحت سيطرة أعداء الإسلام يجب على الجميع الجهاد لاستعادتها.

فكل مسلم مكلّف إزاء القضية الفلسطينية بواجب يجب عليه أداؤه حسب استطاعته وبأي نحو يتيسّر له، وذلك بناءً على:

أولاً: إنّ هذه الأرض تعتبر من وجهة النظر الإسلامية، أرضاً إسلامية مغتصبة من قِبَل أعداء الإسلام، وتجب استعادتها منهم.

ثانياً: هناك ثمانية ملايين مسلم؛ بعضهم مشرّدون، وبعضهم الآخر يعيشون في ظل الاحتلال ظروفاً أسوأ من ظروف المشرّدين، ولا يستطيعون ممارسة حياتهم اليومية بشكل طبيعي، ولا يُسمح لهم بالإدلاء بآرائهم، ولا يحق لهم انتخاب ممثّل عنهم لإدارة شؤون بلدهم، وفي الكثير من الحالات يمنعون من أداء صلاتهم.

وقد أحرقوا في السنوات الماضية المسجد الأقصى وهو أول قبلة للمسلمين، ثم أخذوا لاحقاً يحفرون أرضه، ويريدون أساساً تغيير طابعه الإسلامي؛ وهذا ما يوجب على كل مسلم تكليفاً لا يمكنه التنصّل عنه، ويجب عليه العمل بما يستطيع منه.

إنّ ما يستطيع الشعب الإيراني القيام به في الوقت الراهن ــ وهو أهم من كل الأعمال الأخرى ــ هو التظاهرات كتظاهرات هذا اليوم، وهو عمل في غاية الأهمية.

فهدف الصهاينة هو أن توضع القضية الفلسطينية في أدراج النسيان، بحيث ينسى الناس أنّ قضية كهذه كان لها وجود في يوم ما, إلاّ أنكم بعملكم هذا لا تسمحون لهم بتحقيق هذا الهدف، ويوم القدس لا يسمح لهم بذلك، وإمامنا الراحل بحكمته وتدبيره لم يسمح لهم بذلك؛ وهذا عمل كبير طبعاً.

الجانب الإنساني في القضية الفلسطينية

أمّا من الوجهة الإنسانية فإن مظلومية العوائل الفلسطينية تلقي على كاهل كل إنسان واجباً؛ فالظلم الذي يتعرّض له الشعب الفلسطيني في داخل فلسطين ــ وهو ما

شاهدتُ جانباً منه في الأشرطة والأفلام التي عرضت في التلفزيون هذه الأيام ــ ظلم مرير.

ومن العجيب أنّ منظمات حقوق الإنسان تبدو وكأنها ميّتة لا تحرّك ساكناً إزاء هذا الظلم الفاحش، كما أنّ الأمريكيين وبعض الغربيين الذين يزعمون أنّ رسالتهم هي نشر الديمقراطية في العالم، قد فضحوا أنفسهم في هذه القضية؛ وذلك لأن هناك اليوم شعباً ليس بِيَده شيء من التأثير في مقدّرات بلده ووطنه ولا يُسمع رأيه في أي مكان، وذلك هو الشعب الفلسطيني, فمن الوجهة الإنسانية هناك شعب مظلوم، وهناك على الجانب الآخر حكومة عنصرية, ورغم وجود كل هذا الظلم، نلاحظ هناك الكذب والزيف الفاضح من قِبَل أمريكا والمنظمات الدولية والمفكرين الغربيين الذين يدّعون مناصرة الديمقراطية!

الخطر الصهيوني على الصعيد الأمني

أما من الجانب الأمني فإن إسرائيل تشكّل تهديداً أمنياً ليس لشعبها فحسب، بل لكل المنطقة؛ وذلك لأنها تملك في الوقت الحاضر ترسانة نووية وهي لازالت عاكفة على إنتاج هذا السلاح.

وقد وجّهت لها منظمة الأمم المتّحدة تحذيرات عديدة ولكنها لم تعرها أي اهتمام, ولاشك أنّ السبب الأساسي الكامن وراء هذا التمادي هو الدعم الأمريكي, أي أنّ قسطاً كبيراً من آثام الصهاينة يلقى على عاتق أمريكا.

اعلموا أنّ مجلس الأمن أصدر طوال الخمسين سنة التي ظهر فيها الكيان الصهيوني، تسعة وعشرين قراراً ضد إسرائيل، وقد استخدمت أمريكا حق النقض (الفيتو) إزاء كل تلك القرارات التسعة والعشرين, أما في الوقت الحاضر، فهي لا تسمح منذ حوالي عشر سنوات ــ أي من بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق ــ بصدور أي قرار من مجلس الأمن ضد إسرائيل! إذاً فإثم كل هذه الجرائم يقع على عاتق أمريكا.

فأمريكا التي تتظاهر بمظهر المحب للسلام وتبدي لجميع الشعوب ــ ومنها شعبنا الشريف المظلوم ــ ابتسامات مسمومة، هي المجرم الأوّل في القضية الفلسطينية، وإحدى جرائمها هي أنّ يديها ملطّختان حتى المرفق بدماء الفلسطينيين.

إنّ الكيان الصهيوني يشكّل تهديداً لدول المنطقة.

وحكومات سوريا ولبنان والدول الأخرى الموجودة هناك تواجه بعض المصاعب والمتاعب, وأمر الحكومات في معزل عن أمر الشعوب؛ فالشعوب في كل مكان قلوبها مليئة غيضاً, أما الحكومات فهي مضطرّة

تحت وطأة بعض الضغوط إلى الإدلاء بتصريحات ما، والدخول في المفاوضات واتخاذ بعض المواقف.

الخطر الصهيوني على الصعيد الاقتصادي

أما على الصعيد الاقتصادي فإنّ إسرائيل تشكّل خطراً على المنطقة.

فالصهاينة المتسلّطون على فلسطين طرحوا قبل مدّة مشروعاً تحت عنوان "مشروع الشرق الأوسط الجديد".

فماذا يعني الشرق الأوسط الجديد؟ معناه الشرق الأوسط الذي يتشكّل حول محور إسرائيل ويتسنّى لإسرائيل من خلاله بسط سيطرتها الاقتصادية تدريجياً على الدول العربية ودول المنطقة والمناطق النفطية في الخليج الفارسي؛ وهذا هو الهدف الذي يسعى إليه الإسرائيليون, وبعض الدول غافلة، وعندما تواجه بالاحتجاجات تعلن أنها لا تقيم علاقات معهم, ولكنها سمحت لتجّارهم بالمجيء! والحقيقة هي أنّ غايتهم هذه، فَهُم يريدون استغلال غفلة بعض الحكومات والدخول إلى هناك بحماية أمريكا وبدعم من ترسانتها الرهيبة؛ لغرض الاستيلاء على المراكز الاقتصادية والمصادر المالية.

وهذا خطر جسيم على المنطقة، ويفوق في أهميته سائر الأخطار, عسى أن لا يأتي الله بذلك اليوم، ولن يأتي به، كما أن الشعوب المسلمة لن تسمح بذلك, إلاّ أنّ الخطّة الصهيونية ترمي من خلال الاعتماد على الاقتصاد، الاستيلاء على جميع مراكز القوّة في هذه الدول؛ وهذا يعني أنّ وجود إسرائيل يشكّل اليوم خطراً بالغاً على شعوب ودول المنطقة إسلامياً وإنسانياً واقتصادياً وأمنياً وسياسياً.

الحلّ الوحيد للقضية الفلسطينية

ليس هناك سوى سبيل واحد لحلّ قضية الشرق الأوسط وهو زوال الكيان الصهيوني، والمشرّدون الفلسطينيون يجب أن يعودوا إلى أرضهم, وهؤلاء الملايين الثمانية هم أصحاب فلسطين الحقيقيين, الغالبية العظمى من أبناء الشعب الفلسطيني مسلمون، ويوجد بينهم عدد من الفلسطينيين اليهود والمسيحيين.

والشعب الفلسطيني هو الذي يجب أن يشكّل الحكومة، وتلك الحكومة هي التي تقرر هل يحق للمهاجرين الذين قَدِموا من سائر البلدان إلى فلسطين ويعيشون فيها حالياً، البقاء فيها وضمن أية شروط، أو الخروج منها.

والقضية هي وجوب تشكيل حكومة فلسطينية على كل أرض فلسطين, أما الألاعيب من قبيل إدارة الحكم الذاتي وما شابه ذلك، فليست قادرة اليوم

على خداع أحد، إلاّ الناس السذّج جدّاً, وهذه الأمور كلها ليست ذات بال، والعمل الحقيقي والأصلي هو الذي يجب تطبيقه.

لقد وعت الأجيال الفلسطينية الشابّة اليوم، وهي تعلم بمدى تأثير مقاومتها، وهي اليوم تسير على خط الجهاد والمقاومة في داخل فلسطين وفي خارجها؛ في لبنان والأردن وسوريا وغيرها من المناطق الأخرى، وتعلم أن لجهادها أثره، وأن الشعوب معها بقلوبها، وخاصة المواقف المجيدة والمشرّفة لشعب وحكومة إيران ونظام الجمهورية الإسلامية.. وهذا ما يشدّ من عزمها. فهؤلاء الشباب سيواصلون الجهاد وسيصلون بإذن الله إلى النتائج الأصلية التي ترضيهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

<إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً>

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.